هي ما يتقرب به الى الملك والكبير وتطلق على المنزلة العلية كما صرح به قوله في الحديث فانها
منزلة في الجنة ويمكن ردها الى الاول بان الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة
التي يتوسل بها وقال المص قال اهل اللغة الوسيلة منزلة عند الملك وقال هي ان تكون
عند الله بمنزلة الوزير عند الملك لا عرج لاحد اليه ولا منزلة اعلى بعده وبواسطته
قلت وما احسن قول بعض العارفين وانت باب الله اي امرئ اتاه من غيرك لا يدخل
واختلف المفسرون في المراد بالوسيلة في قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فقيل
القربة وحكي عن ابن عباس ومجاهد واخرين قال عطا تقربوا اليه بما يرضيه واختاره
الواحدي والبغوي والكشاف فقال الوسيلة كلما يتوسل به اي يتقرب من قراة او صنيع
ومن هذا القول التوسل الى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المحبة اي تحببوا
الى الله تعالى حكاه الماوردي وابو الفرج عن ابي زيد وهو راجع الى معنى الاول قال السيوطي
نقلا عن القرطبي في قوله ثم سلوا لي الوسيلة انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل ان
يوحى اليه انه صاحبها ثم اخبر بذلك ومع ذلك فلا بد من الدعا بها فان الله تعالى يزيد
بكثرة دعا امته رفعة كما زاده بصلاتهم ثم انه يرجع ذلك عليهم بنيل الاجر ووجوب
شفاعته انتهى وفيه نظر لان في الخبر انه يرجو ذلك ورجاوه لا يخيب كما في القول
البديع فالاولى ان سبب سوال ذلك مع كونه حاصلا له التواضع والخضوع لربه
واداء حق مقام السوال مع ما في ذلك من الثواب العائد الى الداعي له بذلك من
امته والله اعلم ثم رايت في كلام بعض المحققين ما يشهد لما قلته وهو قوله
فائدة ذلك اعلامنا بان الله لا يجب عليه ان يفعل شيا لاحد من خلقه وان له ان
يفعل لمن شا ما شا وان جلت مرتبته ففي ذلك اعظم اظهار تواضعه وخوفه المقتضي
لمزيد رفعته وعلوه وفيه فائدة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم وعلينا وقد
غفل من لم يمعن النظر في هذا المقام عما ذكرته فاجاب باختصار فائدة ذلك لنا
بامتثال ما امرنا به في حقه الشريف انتهى وهو في غاية الحسن قوله لا ينبغي
لعبد الخ اي تختص بها دون غيره قوله وارجو ان اكون انا هو قال الابي في
شرح مسلم قيل انا تاكيد للضمير المستتر في اكون وهو خبر وضع موضع اياه ويحتمل
ان يكون انا مبتدا وهو خبر والجملة خبر اكون ويمكن ان يقال ان هو وضع
موضع اسم الاشارة اي اكون انا ذلك العبد كقوله

فيها سواد من خطوط وبلق ... كانه في الجلد توليع البهق

قيل لقائله ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما
فقال اردت كان ذلك انتهى ثم ذكر لفظ الرجا مع ان ذلك له قطعا ادبا وارشادا
وتعليما للامة وتذكيرا بالخوف وتفويضا اليه تعالى بحسب مشيته ليكون الطالب
للشيء بين الخوف والرجا وسيأتي في كتاب المدح ان الرجا من الله تعالى ومن نبيه
صلى الله عليه وسلم واقع قوله حلت له الشفاعة اي وجبت كما في عدة روايات
منها رواية الطحاوي او نزلت عليه فعلى الاول يكون مضارعه يحل بكسر الحاء وعلى

الاخير

الاخير بضمها ولا يجوز ان يكون حلت من الحل لانها لم تكن قبل ذلك محرمة واللام بمعنى على
ويويده رواية لمسلم حلت عليه شفاعتي ثم رواية مسلم هذه كرواية البخاري الاتية خالية
عن الاشكال ووقع في رواية النسائي والترمذي الا حلت له شفاعتي بزيادة الا وهو مشكل
لان جزا الشرط لا يقترن بالا واول بان حمل على معنى لا يسال ذلك احد الا وجبت
له شفاعتي ثم معنى وجبت له الشفاعة انها ثابتة لا بد منها بالوعد الصادق وفي الخبر
بشرى عظيمة لقائل ذلك انه يموت على الاسلام اذ لا تجب شفاعته صلى الله عليه
وسلم الا لمن مات كذلك وشفاعته صلى الله عليه وسلم لا تختص بالمذنبين بل
تكون برفع الدرجات او تضعيف الحسنات او بالكرامة بايوايه الى ظل العرش
او كونه في برزخ او على منابر او الاسراع بهم الى الجنة وغير ذلك من خصوص الكرامات
الواردة لبعض دون بعض وقوله له اي تختص بشفاعة ليست لغيره او تفرد شفاعته
مما يحصل لغيره تشريفا له وان دخوله في الشفاعة لا بد منه وقد رايت اذكر معنى
الشفاعة واقسامها في هذا المكان تتميما للفائدة فاقول ذكر الغزالي
في معنى الشفاعة وسببها كلاما نفيسا حاصله انها نور يشرق من الحضرة الالهية
على جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة الذكر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومثاله
نور الشمس اذا وقع على الما فانه ينعكس منه الى محل مخصوص من الحائط دون جميعه
وسبب الاختصاص المناسبة بينه وبين الما في الموضع الذي خرج منه خط
الى موضع النور حصلت منه زاوية تلي الارض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط
الخارج من الما الى قرص الشمس بحيث لا يكون اوسع منها ولا اضيق ولهذا لا يمكن الا
في موضع مخصوص من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي الاختصاص بانعكاس
النور فالمناسبات المعنوية العقلية تقتضي ذلك ايضا في الجواهر المعنوية
ومن استولى عليه التوحيد فقد تاكدت مناسبته مع الحضرة الالهية واشرق عليه
النور من غير واسطة ومن استولى عليه السنن والاقتدا به صلى الله عليه وسلم ومحبته
ومحبة اتباعه ولم يرسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم مناسبته الا مع
الواسطة فافتقر الى الواسطة في اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذي ليس مكشوفا
للشمس الى واسطة الما المكشوف للشمس والى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا
فالوزير الاقرب للملك يحمله على العفو عن جرم اصحابه لا لمناسبة بينهم وبين الملك
بل بينهم وبين الوزير المناسب للملك فافاضت عليهم العناية بواسطة الوزير
لا بواسطة انفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية اصلا لان الملك لا
يعرفهم ولا يعرف اختصاصهم بالوزير الا بتعريفه واظهار الرغبة في العفو عنهم
فسمي لفظه في التعريف واظهار الرغبة شفاعة مجازا وانما الشفيع مكانته عند الملك
واللفظ والتسمية مستغن عن التعريف ولو عرف الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير
لاستغنى عن التعريف وحصل العفو بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله تعالى
عالم به ولو اذن للانبيا عليهم الصلاة والسلام بما هو معلوم له لكانت

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)